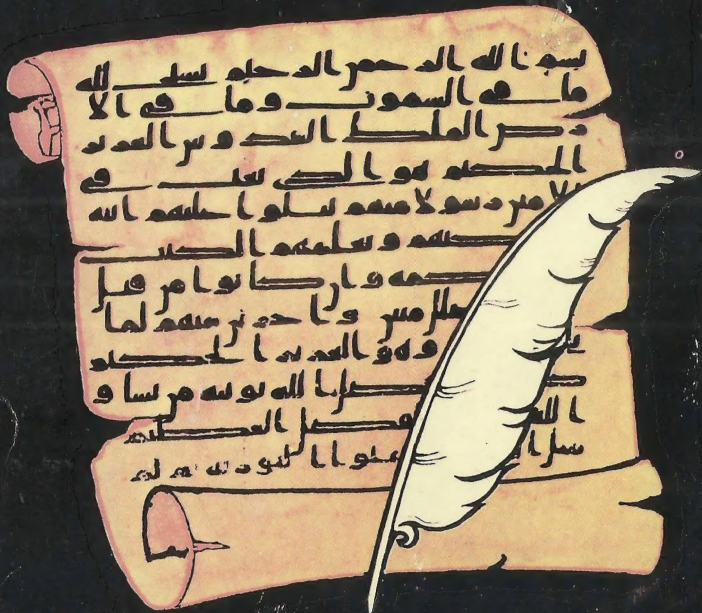


الوراقة والنراقون

في التاريخ الاسلامي



لطف الله قاري

منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الهيئة العامة للكتاب



المكتبة الصغيرة

٣٧

الوراقة والوراقون

في التاريخ الاسلامي

لطف الله قارى

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ
مارس ١٩٨٢ م

الطبعة الثانية
ربيع الأول ١٤٠٣ هـ
يناير ١٩٨٣ م

الغلاف من تصميم الفنان : عصام طنطاوي

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الوراقة والوراقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. تمهيد

أقيم في انطاكية ، حيث يجرى نهر العاصي ليصب في البحر ، جسر يصل نصف المدينة بنصفها الآخر . وقد بني من حجارة عريضة نقلت من الروابي على ظهور بغال انطاكية .

وعندما انتهى الجسر ، نقش على أحد أعمدته بالأغريقية والآرامية : « بني هذا الجسر الملك انطيوخوس الثاني » .

و ذات مساء نزل شاب يحسبه البعض مجنوناً الى حد ما ، واستمر ينزل حتى بلغ العمود الذي نقشت عليه تلك الكلمات ، وغطاها بالفحم ، وكتب فوقها : « حجارة هذا الجسر جيء بها من الروابي على ظهور البغال . وأنتم اذ تمرّون

فوقه جيئة وذهاباً ، انما تركبون ظهور بغال
انطاكية بناء هذا الجسر » .

وعندما قرأ الناس ما كتبه الشاب ، ضحك
بعضهم ، وتعجب آخرون . وفيهم من قال :
« ها ! نعم ! انا لنعرف الذى فعل ذلك . أما هو
ذلك المجنون الصغير ؟ » .

ولكن بغلا قال وهو يضحك ، لبغل آخر :
« ألا تتذكر أننا حملنا تلك الأحجار ومع ذلك
لا يزال هناك من يقول حتى الآن ان الملك
انطيوخوس هو الذى بنى الجسر » .



هذه القصة الرمزية لجبران يمكن اعتبارها
مختصراً لنظرتين متباينتين فى الحديث عن الحضارة
الاسلامية . النظرة الأولى نجد فيها من يكتب فى
التاريخ يتحدث عن مجد الاسلام وحضارته فيذكر
منها أبهة السلاطين . يذكرون بذخ المأمون فى
زواجه من بنت وزيره ، وأنه كان يرمى عنبراً
مكوراً على هيئة بندق للحاضرين ، وفى داخل كل

كرية من تلك الكريات ورقة فيها منحة بقطعة أرض أو بستان أو مبلغ من المال . ويذكرون أن رسل ملك الروم عندما وصلوا الى بغداد استقبلتهم أبهة الخلافة بمشاهد أذهلتهم ، ومثل ذلك يروى عن السلطان الأموي بقرطبة . ويذكرون تاج محل وما أنفق عليها ، والصناع الذين عملوا في تشييدها بعد أن استقدمهم سلطان الهند من جميع أنحاء العالم الاسلامي ليبنوا ضريحاً لزوجته المتوفاة .

والنظرة الأخرى يمثلها المتمسكون بالأفكار الاسلامية الأولى . فالاسلام لا يهتم بالبذخ والبهرجة بقدر ما يهتم بالانتاج والعمل . بل ويحاسب على هدر الأموال والاثراء غير المشروع .

اذن فالحضارة الاسلامية ليست بتلك المظاهر المزدانة في ظاهرها والفسادة في جوهرها ، وانما الحضارة الاسلامية هي سيرة البناء الحقيقيين من الذين تمثلت فيهم قيم الاسلام الخالدة من فقهاء

وعلماء وصناع وغيرهم . ونحن اليوم نستعرض
سيرة عطرة لفئة من تلك الفئات التي قامت على
أكتافها أجلى مظاهر الحضارة الاسلامية . تلك
الفئة هي الوراقون ، والمظهر الجلي الذى بنوه
هو المكتبات ، صروح العلم والثقافة . فالوراقون
هم ناسخو الكتب .

ولئن أغفل المؤرخون أخبار هذه الطائفة ،
فلم يهتموا بها اهتمامهم بأخبار الملوك ، فان
فضلهم لا يمكن انكاره بحال . فملايين الكتب
التي كانت مرتبة فى أرفف مكتبات العالم الاسلامي
الهائلة ، فى قرطبة ، وبغداد ، والقاهرة ،
وبخارى وفاس ، واستنبول ، وغيرها قبل اختراع
الطباعة ، ملايين الكتب هذه تشهد لهؤلاء
الوراقين ، بأنهم كانوا الجنود المجهولين الذين
شيدوا تلك الصروح . والمشقة التي بذلت فى
سبيل تحرى أخبارهم هي بعض ما يستحقونه
منا .

فأخبار هذه المجموعة من بناء الحضارة
الاسلامية نادرة مبعثرة في بطون الكتب ، ولم
يهتم بهم قبل الآن فيما أعلم سوى مؤلفين اثنين
كانا وراقين أيضاً ، وهما محمد بن اسحاق
النديم ، وياقوت الحموي .

فالأول منهما تكلم في بداية كتابه «الفهرست»
عن تطور الخط العربي ، وعن الخطاطين الذين
اخترعوا خطوطاً اشتق بعضها من بعض ، فكان
لكل خط غرض خاص به ، فنسمع عن خط
للتوقيعات (والتوقيع هو ما نسميه اليوم :
الشرح على المعاملة) ، وخط للنسخ (أى نسخ
الكتب ، وهو خط النسخ المعروف اليوم) وخط
الرقاع (أى المرائض ، وهو خط الرقعة
المعروف اليوم) وأنواع كثيرة جداً من الخطوط
تبلغ العشرات ، ونخرج عن صلب موضوعنا لو
تقصيناها .

ثم سرد أسماء الوراقين الذين كانوا يكتبون
المصاحف بخطوطهم الجميلة المتقنة ، وأسماء

الذين كانوا يعملون في زخرفة تلك المصاحف ،
وأسماء الذين كانوا يجلدونها . كما ضمت
مقدمة كتابه تلك مقالات عدة في خطوط الأمم
الأخرى وفضائل الكتب وطريقة بري الأقلام
لدى كل أمة وأنواع الورق وغير ذلك . وما سبق
طبعاً غير كاف للتعرف على سيرة الوراقين ، ولكن
هذا ما سجّله النديم على أية حال في كتابه القيم ،
الذى يستفيد منه أيُّ باحث في تاريخ الحضارة
الإسلامية على صغر حجمه .

أما ياقوت ، فقد ترجم في كتابه « معجم
الأدباء » ، أو حسب تسمية مؤلفه « ارشاد
الأريب الى معرفة الأديب » ، لبعض الوراقين .
وقال في مقدمة كتابه : « جمعت في هذا الكتاب
ما وقع اليّ من أخبار النحويين ، واللغويين ،
والنسّابين ، والقراء المشهورين ، والاختباريين ،
والمؤرخين ، والوراقين المعروفين ، والكتّاب
المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدوّنة ، وأرباب

الخطوط المنسوبة والمعينة ، وكل من صنف في
الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فنه تأليفاً ... » (١) .
فهو اذن تعمد أن يترجم لزملائه الوراقين ،
لأنه وراق مثلهم . فبلغ عدد الذين ترجم لهم من
أولئك الوراقين (٣٠) ثلاثين ترجمة ، وعدد
الذين ذكرهم عرضاً في سياق تراجم لغيرهم من
الأدباء (٢٠) عشرين رجلاً ، وذلك من مجموع
التراجم البالغ (١١٤٢) ألفاً ومائة واثنتين
وأربعين ترجمة .

أما المؤلفون الآخرون فهم لا يذكرون أحداً
من الوراقين الا اذا كان مشهوراً بعلم من العلوم ،
أو جاء ذكره عرضاً ضمن حادثة يرويها .

هذا عن مؤلفي التراث الاسلامي ، أما في
العصر الحديث فالحال أيضاً كذلك ، الا
بعض صفحات ترد ضمن بعض الكتب ، وتعالج
الموضوع على نحو لا يشفى غليل الباحث

(١) معجم الادباء ٤٨/١ .

٢. نشأة الوراق

ونبدأ بقصة الوراقين من أول العهد الاسلامي . حيث اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كتبة للوحي ، فكانوا يكتبون على الرقاع والأضلاع (أى الجلود والعظام) وجريد النخل والحجارة الرقاق البيض (١) . وكان بعض الصحابة يكتبون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لأنفسهم (٢) . وفي عهد أبى بكر رضى الله عنه جمع القرآن ، وهو على صورته الأولى فى جلود وعظام ، وسعف وحجارة ، فنسخ فى الرقوق ، وحفظ عند أبى بكر ، ثم عند عمر ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهما . ثم استخرج فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وقام بعض الصحابة بنسخه عدة نسخ (٣) .

فهؤلاء الصحابة كانوا الوراقين الأوائل . إلا أنهم كانوا ينسخون بلا أجر على أغلب الظن ،

-
- (١) أحمد أمين : فجر الاسلام .
(٢) صبحى الصالح : علوم الحديث ومصطلحة .
(٣) فجر الاسلام لأحمد أمين .

حيث لم يرد نص يدل على أنهم كانوا يعملون بأجر .

أما في عهد الأمويين ، فإن ملوك بني أمية اتخذوا غلماناً وأجراء للنسخ ، فقد روي أن عبيد بن شربة الجرهمي ، وفد الى معاوية وقص عليه طرفاً من سير الأولين ، فأمر معاوية ناسخيه بنسخها (١) . وكان خالد بن أبي الهياج ناسخ الكتب في بلاط الوليد بن عبد الملك (٢) . وقد قال النديم عن مجموعة نادرة لخطوط العلماء في العصر الأموي هذا : « ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبي الهياج صاحب علي عليه السلام (٣) . والظاهر أن هناك خلطاً في العبارة السابقة ، فلا يعقل أن يكون صاحباً لعلي ثم معاصراً للوليد وبينهما خمسون سنة .

واشتغل أناس بالوراقة مقابل أجرة في العصر الأموي هذا ، فكان منهم خالد المذكور ، ومالك

(١) الفهرست للنديم : ١٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ٩ .

(٣) الفهرست : ٤٦ .

ابن دينار الذى كان ينسخ المصاحف بأجرة (١) وظهر فى هذا العصر خطاط مجيد هو قطبة ، الذى اخترع أربعة أنواع من الخطوط اشتق بعضها من بعض (٢) . فتفرغ قطبة هذا لاختراع الخطوط يدل على أن الناسخين كانوا كثيراً نوعاً ما فى هذا العصر . الا أن العصر الأموي كان يمثل بداية الانطلاقة الحضارية . فلم تنتشر حرفة الوراقة كما انتشرت فى العصر العباسي ، ولم نسمع عن حوانيت الوراقين كما سمعنا عنها فيما بعد . ولعل أهم سبب لذلك هو ندرة الورق .

فالورق كان يصنع بمصر من نبات البردي بكميات محدودة تبعاً لمحدودية النبات نفسه . وبهذا كان ثمنه غالياً ، والحصول عليه صعباً .

وقد كانت المصانع تطبع فى أعلى كل ورقة عبارة مسيحية ، فأمر عبد الملك بن مروان بتغييرها الى عبارات اسلامية . فغضب ملك الروم

(١) مصادر ترجمة مالك المذكورة فى « الاعلام » للزركلى .

(٢) الفهرست : ١٠ .

لذلك . وكانت الدنانير تسكّ في بلاد الروم ،
ويتداولها المسلمون ، والقراطيس (أى الورق
المصنوع من البردي) تصنع بمصر ويتداولها
الروم . فهدد ملك الروم بأن ينقش على الدنانير
شتماً للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم يكف
عبد الملك عما أحدثه من تغيير العبارات على
الورق . فاستشار عبد الملك ، خالد بن يزيد في
هذه المعضلة ، فأشار عليه بأن يسكّ نقوداً
اسلامية يستغنى بها عن نقود الروم ، ففعل (١) .

فهذا يدل على أن جميع من في المنطقة الشاسعة
التي تضم العالم القديم يومئذ (ماعدا الصين
وأواسط آسيا والهند) كانوا يعتمدون على
ورق مصر . فاذا عرفنا أن هذا الورق لم يكن
يصنع الا من نبات خاص هو نبات البردي عرفنا
كيف كان هذا الورق نادراً وغالي الثمن .

كان الورق يصنع على هيئة أدراج . كل درج
له طول متعارف عليه . وقد حدث الكندي أن

(١) فتوح البلدان ، للبلاذري .

درجاً طويلاً بلغ طوله ١٥ متراً (١) . الا أن الدرج العادي كانت أقصى مساحته ذراعاً في ذراع (٢) . وكان الدرج يباع بدينار ونصف دينار ، وهو ثمن غالٍ ، خصوصاً اذا لاحظنا أن هذا القدر كان يدفع ايجاراً لفدان صالح للزراعة لمدة عام (٣) .

وقد أصدر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أوامر بالاقتصاد في استعمال الورق (٤) . وأبطل المادة التي استحدثها الوليد بن عبد الملك بأن تكون رسائل البلاط في ورق كبير ، وأمر كُتَّابه بتصغير الخط ، فكانت كتبه نحو شبر في شبر (٥) .

وقد شكّا أبو نواس عجزه عن اقتناء الورق فقال :

-
- (١) ظهر الاسلام : لأحمد أمين .
 - (٢) صبح الاعشى : للقلقشندي .
 - (٣) ظهر الاسلام : لأحمد أمين .
 - (٤) سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن عبد الحكم ص ٦٤ .
 - (٥) الوزراء والكتاب للجهمياري ص ٤٧ ، ٥٧ و صبح الاعشى ٦/٢٩١ .

أريد قطعة قرطاس فتعجزني
وجل صعبى أصحاب القراطيس
لما هم الله عن ود ومعرفة
أن المياسير منهم كالمفاليس (١)
فهذا كله دليل على غلاء وندرة الورق المصنوع
من البردي ، وهو الذى كان يسمى بالقرطاس .
ثم دخلت صناعة الورق المصنوع من العشب
الى العالم الاسلامي في النصف الأول من القرن
الثانى الهجري (٢) . ثم صنع من الخرق (أى قطع
القماش البالية . ويلاحظ أن الورق المصنوع
من البردي سمي القرطاس ، بينما سمي الورق
الآخر الكاغذ) .

وعلى كل فان قصة الورق طويلة جداً بحيث
لم نذكر منها الا ما يتعلق بموضوع نشأة
الوراقة . أما المزيد من التفاصيل فهو في المصادر
التالية :

-
- (١) ديوان ابى نواس .
(٢) مقالة « الورق والكاغذ ، صناعته في العصور الاسلامية » المذكورة
في السطور التالية .

١ - مقدمة كاترمير لكتاب «جامع التواريخ»
لفضل الله الهمداني ، الجزء الأول من الترجمة
العربية ، ص ١٦٦ وما بعدها .

٢ - مقالة « الورق أو الكاغذ ، صناعته في
العصور الاسلامية » لكوركيس عواد ، في مجلة
المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة
العربية حالياً) ٤٠٩/٢٣ .

٣ - «الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية»
مقالة لمحمد طه الحاجري في مجلة المجمع العلمي
العراقي ١١٦/١٢ ، ٦٣/١٣ .

٤ - « ضحى الاسلام » لأحمد أمين ٢٠/٢
وما بعدها مع المصادر المذكورة هناك .

٥ - « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع
الهجري أو عصر النهضة في الاسلام » لآدم ميتز ،
آخر الفصل الخامس والعشرين .

ونعود الآن الى قصة الوراقة . فقد لاحظنا أن
الذين كانوا ينسخون بالأجرة وجدوا منذ أيام

الأمويين . وبذلك نستطيع أن نستنتج أن حرفة النسخ قد نشطت وانتعشت بانتشار الورق ورخص ثمنه .

وهذا ما تحدثنا به الكتب بالضبط ، فقد روى اليعقوبي أنه كان في عصره (وهو توفي سنة ٢٧٨ هـ) أكثر من مائة وراق في بغداد (١) . ونلاحظ أن لكل حرفة كان هناك سوق معينة ، فهناك سوق للبزازين ، وأخرى للعطارين ، وسوق أيضاً للوراقين (٢) . وقد كان الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ) في شبابه يكتري حوانيت الوراقين ليلا فيبيت فيها بفرض مطالعة الكتب (٣) .

ولعل أجمل اختتام لحديثي عن نشأة الوراق هو قول ابن خلدون الجامع في هذه المسألة (٤) :

(١) البلدان : لليعقوبي .

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية ، لجمال الدين سرور ، ص ٢٣١ .

(٣) الكامل : للمبرد .

(٤) مقدمة ابن خلدون : ٧٥٥ .

« كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية (يقصد الكتب) والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط . وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة . وقد ذهب ذلك لهذا العهد ، بذهاب الدولة وتناقص العمران ، بعد أن كان فيه في الملة الإسلامية بحر زاخر بالعراق والأندلس . إذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونفاق أسواق ذلك لديهما . فكثرت التأليف العلمية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلهما في الآفاق والأعصار ، فانتسخت وجلدت . وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور المكتبية والدواوين ، واختصت بالأمصار العظيمة العمران وكانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك ، في الرقوق المهيأة بالصناعة من المجلد ، لكثرة الرفه وقلة التأليف في صدر الملة كما نذكره ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك

مع ذلك . فاقترضوا على الكتاب (أى الكتابة)
فى الرق تشريفاً للمكتوبات وميلاً بها الى الصحة
والاتقان .

ثم طما بحر التأليف والتدوين ، وكثر ترسيل
السلطان وصكوكه ، وضاق الرق عن ذلك .
فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغذ وصنعه
(وفات على ابن خلدون أن القراطيس كانت
تستعمل قبل الكاغذ مع الرق) وكتب فيه رسائل
السلطان وصكوكه . واتخذها الناس من بعده
صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية . وبلغت
الاجادة فى صناعته ما شاءت .

٣. سوق الوراقين

كانت الوراقاة مهنة سامية يحترفها أدباء
وعلماء وفلاسفة ومحدثون كما سنرى فيما بعد
عند استعراضنا لأسماء مشاهير الوراقين .
وكانت سوق الوراقين منتدى فكرياً يقصده
العلماء لمجالسة بعضهم والتناقش مع زملائهم
الوراقين فى الشؤون المختلفة .

ومما قيل في هذه المجالس من الشعر :

مجالسة السوق مذمومة
ومنه مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد
وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى
وهاتيك آلة أهل الأدب (١)

كما رووا أن المهلب بن أبي صفرة قال
لبنيه : « يا بني » ، لا تقفوا في السوق الا على
زراد أو وراق « (٢) (والزراد صانع السلاح) .
وهذا حديث مستبعد ، لأن المهلب عاش في العصر
الأموي ، حيث ندرت الورق ، وحداثة العهد
بالتقدم والرقي لا تسمحان بنشأة صناعة
الوراقة كما رأينا .

وانتشرت أسواق الوراقين في كل مدينة هامة
من مدن العالم الاسلامي . والمصادر تذكر لنا

(١) من روائع حضارتنا ، لمصطفى السباعي .

(٢) العيون للجاحظ : ٥٢/١ .

أخباراً عن كثير من أسواق الوراقين في تلك المدن .

ففي فسطاط مصر كان على عهد الطولونيين والاختشيديين سوق عظيمة للوراقين تعرض فيها الكتب للبيع ، وأحياناً تدور في دكاكينها المناظرات . وفي القاهرة بنيت سوق للكتبيين حوالي سنة ٧٠٠ هـ . وكانت مجمعاً للعلماء كذلك (١) .

وفي بغداد وجدت سوق للوراقين أو أكثر من سوق على الأرجح . فالمصادر تشير الى أماكن عدّة عند ذكر موضع السوق ، فمرة نجد أنها في باب الطاق (٢) ، وأخرى في طاق الخواني (٣) ، وحيناً في طاق الزبل ، وآخر بقصر وضاح من الجانب الغربي (٤) ، وتارة في الجانب الشرقي (٥) ،

(١) تراث القاهرة العلمي والفني في العصر الاسلامي : لعبد الرحمن زكي .

(٢) المقاييسات للتوحيدي : المقابلة رقم ٣٠ ومعجم الادباء لياقوت ٩٣/١٨ .

(٣) المصدر السابق : المقابلة رقم ٤٠ .

(٤) الفهرست : ٢١٧ .

(٥) الفهرست : ١٦٣ .

وأخرى بجوار سوق الصاغة يفصل بينهما
مسجد (١) .

وفي البصرة كانت سوق الوراقين مجعماً
للعلماء أمثال أبى بكر بن دريد ، والرياشي
اللفويين النحويين . فقد روى النديم أن ابن دريد
رأى شخصاً في سوق الوراقين يقدم أهل الكوفة
في النحو ، فذهب الى الرياشي الذي كان جالساً في
السوق وروى له ما رآه ، فأخذ الرياشي يعلق على
ذلك مفضلاً البصريين (٢) .

وفي قرطبة كان الوراقون من الكثرة بحيث
نجد في كتاب « تاريخ علماء الأندلس » لابن
الغرضي ، تراجم لأحد عشر وراقاً قرطبياً اشتهر
كل واحد منهم بعلم ، سوى ما كان مجهولاً ،
وكانت قرطبة : « أكثر بلاد الأندلس كتباً وأشد
الناس اعتناءً بخزائن الكتب ، صار ذلك عندهم
من آلات التعيين والرياسة ، حتى أن الرئيس

(١) ياقوت : ١٩٢/١٣ .

(٢) الفهرست : ٦٤ .

منهم الذى لا تكون عنده معرفة ، يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب ، وينتخب فيها . ليس إلا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره ، والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به « (١) .

وفى كتاب « ذكر أخبار أصبهان » لأبى نعيم ، نجد تراجم لأربعة وراقين من أصفهان . وفى الأهواز سوق للوراقين تناظر فيها الجبائي المعتزلي مع أحد علماء الوراقين (٢) .

كانت هذه الأسواق منتدى للعلماء والأدباء والفلاسفة وكل من له رغبة فى الكتب أو فى مجالسة ذوى الثقافة .

فكانت هذه الأسواق تحتوى على دكاكين الوراقين ، وأحياناً كانت تحتوى على مزاد علني يباع فيه مجموعات من الكتب أو كتاب واحد . ولدينا جملة من الأخبار تدل على ذلك . منها

(١) نفع الطيب : ٤٦٢/١ .

(٢) الفهرست : ٢١٨ .

ما رواه الخطيب التبريزي من أنه حضر مع
الفصيحي صاحب عبد القاهر المرحاني حلقة
يباع فيها الكتب . فنودي على كتاب فيه شيء من
مصنفات المفضل بن سلمة بن عاصم وراق
الفراء (١) .

ومن الأخبار الطريفة في المزايدات العلنية هذه
ما رواه الحضرمي قائلاً : « أقمت مرة بقرطبة
ولازمت سوق كتبها مرة أترقب فيها وقوع كتاب
كان لي بطلبه اعتناء ، الى أن وقع ، وهو بخط
جيد وتسفير (أى تجليد) مليح . ففرحت به
أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع اليّ
المنادي بالزيادة علي ، الى أن بلغ فوق حدّه ،
فقلت له : يا هذا ، أرني من يزيد في هذا الكتاب
حتى بلغه الى ما لا يساوى ..

فأراني شخصاً عليه لباس رياسة ، فدنوت
منه ، وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه ، ان كان

(١) ياقوت : ٦٩/١٥ .

لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده .

فقال لى : لست بفقيه ، ولا أدرى ما فيه ، ولكنى أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط ، جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه ، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير .

فأخرجنى وحملنى على أن قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيراً الا عند مثلك ، يعطى الجوز من لا عنده أسنان ، وأنا الذى أعلم ما فى هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به ، يكون الرزق عندى قليلا ، وتحول قلة ما بيدى بينى وبينه « (١) » .

فنلاحظ من القصة السابقة أن سوق الوراقين كانت مزدحمة ، ولذلك كان الدلال يذهب بالكتاب الى الزبون الغنى ويعود الى الحضرمي

(١) نفح الطيب : ٤٦٢/١ .

بالزيادة ، والمضرمي لا يرى غريمه ، حتى طلب
من الدلال رؤيته .

ومن الأدلة على ازدهام الناس في تلك السوق
أن أحد زبائنهما - وهو عبد الله بن أحمد بن
الغشاب - كان اذا حضرها ، وأراد شراء كتاب
غافل الناس ، وقطع منه ورقة ، وقال : انه
مقطوع ، ليأخذه بثمان بخس (١) :

ولم يكن حضور هذه السوق من أجل شراء
الكتب ، أو الاطلاع عليها فقط . فأكثر الأسباب
التي أدت الى ازدهام الناس في سوق الوراقين ،
هو اجتماع العلماء بعضهم ببعض في تلك
السوق . فهناك عالم ضرير هو أبو الفنائم
حبشى بن محمد الشيباني النحوي ظل مداوماً في
سوق الوراقين طيلة عشرين سنة يأتيها كل ليلة
مع قائده (٢) . فمن المؤكد أنه لم يداوم ليلياً
عشرين سنة لبحث عن الكتب ، وهو الضرير

(١) ياقوت : ٥١/١٢ .

(٢) ياقوت : ٢١٦/٧ .

الذى لا يقرأ ، وانما كان قصده الاجتماع بالعلماء .

فدكاكين الوراقين ضمت اذن العلماء وطالبي العلم من الذين يبغون الشراء أو لا يبغونه ، روى أبو بكر بن كامل أن متأدياً كان يتقعر في كلامه فيختار الألفاظ والتراكيب المعقدة . فورد يوماً على باب الطاق عند أحد الوراقين ، وكان مخصصاً لذلك الوراق ، ولكنه رأى عنده جمعاً من معارفه فوقف وسلم وقال للوراق : « لولا ما كنت بالذى » أى لولا من هنا ما كنت بالذى يقف على حانوتك (١) .

ومن خلال الاستعراض التالى للأخبار التى وصلتنا عن أسواق الوراقين نجد أن ندوات علمية وأدبية فى مختلف المجالات كانت تعقد فى تلك الأسواق .

فمن مجالس الأدب ، نجد أن أبا نصر الزجاج اللغوي كان جالساً مع أبى الفرج الأصبهاني

(١) ياقوت : ٩٣/١٨ .

صاحب الأغاني في دكان بسوق الوراقين ، وكان
أبو الحسين علي بن يوسف البقال الشاعر جالسا
عند أبي الفتح ابن الحراز الوراق ، وهو ينشد
أبيات الصولي التي يقول فيها :

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها

وكانت قذى عينيه حتى تجلت

فلما بلغ ذلك البيت صار يكرره ويعيده ،
فلاحظ ذلك الأصفهاني فأرسل اليه تلميذه
الزجاج قائلا : « قم اليه فقل له : قد أسرفت في
استحسان هذا البيت ، وهو كذاك ، فأين موضع
الصنعة فيه ؟ » .

قال الزجاج : فقلت له ذلك ، فقال : قوله
« وكانت قذى عينيه » . فعدت اليه ، وعرفته
فقال : عد اليه فقل له : أخطأت ، الصنعة في
قوله « من حيث يخفى مكانها » (١) .

وأمثلة كثيرة عن مجالس الفلسفة رواها
التوحيدي في كتابه « المقابسات » . فالمقابلة

(١) يالوت : ١١٢/١٣ .

تعنى قدح الأذهان والاقتباس المتبادل لنور
الأفكار . والمناقشات التى جرى بعضها فى سوق
الوراقين مسجلة فى ذلك الكتاب .

فالمقابلة رقم ٣٠ جرت فى سوق الوراقين
بباب الطاق واشترك فيها أبو زكريا الصيمري
أحد فلاسفة عصره ، مع أبى سليمان المنطقي ،
زعيم فلاسفة عصره .

والمقابلة رقم ٤٠ عبارة عن مجلس يلقى
فيه أبو زكريا الصيمري درساً فى سوق الوراقين
بطاق الخوانى .

وفى المقابلة رقم ٤٢ شارك أحد الوراقين فى
الادلاء برأيه فى مسألة فلسفية .

واختتم هذا الفصل بالوصف الشامل لدنيا
الوراقين الذى كتبه المستشرق هونكه التى يفيض
كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب »
باعجابها بالحضارة الاسلامية :

« وفتحت اللهفة على اقتناء الكتب الباب أمام
مئات الألوف من البشر لكسب عيشهم . فأصبح
النُساخ والخطاطون مهرة في فنهم ، ووظفت كل
مكتبة أو متجر للكتب عدداً من هؤلاء ، وكان
أغلبهم من الطلبة وأنصاف المتعلمين (١) الذين
أرادوا عن هذا الطريق كسب رزقهم .

وانتشر منتجو الورق بطواحينهم في سمرقند
وبغداد ودمشق وطرابلس وفي فلسطين
والأندلس ، وتبعهم المجلدون متأثرين بفن
التجليد الصيني ، يعدون غلافات رائعة للكتب .

وكم من رزم من الأوراق ولترات من الحبر
صنعت من السناج والصبغ العربي استهلكتها
الأيدي الدائبة على الكتابة في كل عام . وكم من
جلود أمدتهم بها صفار الماعز قد استنفدت لهذا
الغرض . وهكذا أصبحت تجارة الكتب ، تماماً
كالصيدلة ، هدية قدمها العرب للبشرية .

(١) يرى القارئ في كتابنا هذا في أكثر من موضع أن الوراقين كانوا
متقنين وكان منهم العلماء والمؤلفون .

والواقع أن تاجر الكتب لم يعرف كوسيط لنقل الثقافة ، ومتاجر الكتب كمراكز للثقافة في المدينة ، قبل أن يفعل العرب ذلك .

ففى سوق الكتب عند بوابة البصرة ببغداد ، التى كانت تضم أكثر من مائة متجر ، كان المتعلمون من كل أنحاء العالم الاسلامي يجتمعون . هنا يفتش الفيلسوف والشاعر والفلكي عما صدر حديثاً من الكتب ، وهنا ينقب الطبيب والمؤرخ وجامع الكتب عن النسخ القديمة ، وهنا وهناك يتناقشون جميعاً ، ويتبادلون المعرفة ، أو تقرأ عليهم برمتهم مقتطفات مما كتب « (١) » .

٤ . طبيعة مهنة الوراقة

كانت الوراقة مهنة العلماء والمثقفين الذين لم يتصلوا بعمل يدرُّ عليهم دخلاً جيداً ، أو تجنبوا الأعمال التى تدخل فيها الشبهة ، فيتجه

(١) ص ٢٨٩ .

الحلال النظيف . وقد كان الوراقون يشكون من الواحد منهم للوراقة سعيًا وراء كسب العيش هذه المهنة الشاقة كما يشكو ناسخو الآلة الكاتبة اليوم .

من الأمثلة على ذلك أنه كان بنيسابور وراق يدعى أبا حاتم ، ورق بها خمسين سنة ، وهو القائل :

ان الوراقـة مهنة مذمومة
محرومة عيشى بها زمن
ان عشت عشت وليس لى أكل
أو مت مت وليس لى كفى—ن(١)

وكان أبو بكر الدقاق المعروف بابن الخاضبة، الفقيه الأديب المتوفى سنة ٤٨٩ هـ ١٠٩٦ م يقول: « لما كانت سنة الفرق (٤٦٦ هـ) وقعت دارى على قماشى وكتبى . وكانت لى عائلة ، الوالدة والزوجة والبنت . فكنت أورق الناس (أى أنسخ لهم) وأنفق على الأهل . فأعرف أننى

(١) يتيمة الدهر : للشعالبى .

كتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات .
فلما كان ليلة من الليالي رأيت في المنام كأن
القيامة قد قامت ، ومناد ينادى : ابن الخاضبة .
فأحضرت ، فقيل لى : ادخل الجنة . فلما دخلت
الباب وصرت من داخل ، استلقيت على قفائى ،
ووضعت احدى رجليّ على الأخرى ، وقلت : آه ،
استرحت والله من النسخ (١) .

وتحدثنا الكتب أن أحد أولئك الوراقين (وهو
أبو حيان التوحيدى الأديب الفيلسوف) حاول
بما لديه من ثقافة أن يصل الى مكانة مرموقة
لدى كبراء زمانه . فحاول مرة أن يتصل بديوان
الصاحب بن عباد ، ولكن الصاحب طلب منه أن
ينسخ رسائله التى بلغت ثلاثين مجلدة . فغضب
أبو حيان من ذلك ، لأنه لو كان يريد الوراقه
لعمل بها فى بغداد بدلا من أن يقصد الصاحب فى
الري (٢) .

(١) ياقوت : ٢٢٨/١٧ .

(٢) ياقوت : ٢٦/١٥ .

وعمل بعض المثقفين في الوراقة سعياً وراء
لقمة العيش بعد كارثة فجائية تعرض لها من
كوارث الحياة . ومن هؤلاء محمد بن سليمان بن
قتلمش الذي كان نحويًا لفويًا أديباً عارفاً
بالهندسة . وقد خلف له والده أموالاً كثيرة
ضيعها هو في القمار ، فاحتاج الى أن يمتهن
الوراقة ، فكان يورق الناس بأجر . ولكن نظراً
لأنه كان سليل عائلة من الأكابر فقد توسط له
أناس عند الناصر العباسي فولّاه الحجابة (١) .

كما عمل بالوراقة أناس تعففوا في طلب
الرزق عن الشبهات ، فكان الواحد منهم يبتعد
عن عمل قد لا يستحله تماماً فيعمل في الوراقة .
ومن هؤلاء : الامام الورع أحمد بن حنبل رحمه
الله ، فقد عمل حيناً بالوراقة وحيناً بأعمال
أخرى كان يطلب بها الرزق الحلال (٢) .

(١) ياقوت : ٢٠٦/١٨ .

(٢) ابن حنبل : لمحمود أبي زهرة .

٥ . مكانة الوراق في المجتمع

كان الوراقون ذوي منزلة عالية في المجتمع الثقافي عند المسلمين الأوائل . فكما أشرنا سابقاً ، كان معظم هؤلاء الوراقين من العلماء والمثقفين ، فلهذا كان العلماء والمثقفون يجلسونهم ويقدرونهم .

روى ياقوت أن اسحاق بن نصير الكاتب البغدادي الأصل كان يكتب في ديوان الطولونيين بمصر ، ويرسل الى الأشخاص الذين يجلبهم ببعض المال كهدايا . فأرسل مرة ثلاثة آلاف دينار دفعة واحدة ، ألف للمبرد ، وألف لثعلب (وهما من فطاحل علماء اللغة والأدب المعروفين) ، وألف لوراق كان يجلس في دكانه عندما كان ببغداد (١) .

فمن هذه القصة نلاحظ أن ذلك الوراق تساوى في قدره مع المبرد وثعلب عند ابن نصير الكاتب .

(١) ياقوت .

وتمكن أحد الوراقين (ويدعى عمر بن أحمد الدينوري) من الحصول على النسخة الأصلية الوحيدة لكتاب ألفه العلامة محمد بن جرير الطبري المؤرخ المفسر . ولم تقع هذه النسخة عند أحد غير ذلك الوراق ، حيث خرج بأجزاء الكتاب الأربعة الى الشام . فتعرض له قطاع الطرق ، ولم يبق معه سوى جزئين (١) .

فلاحظ من هذا أن ذلك الوراق وصل بمكانته السامية عند الطبري وتلاميذه الى أن يحصل على ما لم يحصلوا عليه .

وعندما يترجم مؤرخو العلم والأدب لبعض الوراقين من أهل العلم نراهم يذكرون أخبارهم بكل احترام واجلال . ومن ذلك ما ذكره النديم نقلا عن البلخي في كتابه « المحاسن » عن حارث ابن علي الوراق : « من أهل الدين والورع والتقوى ، رئيس من رؤساء النظر ، قليل النظر في زمانه ، وله تأليف محكم ، وكتب جياذ مشهورة ،

(١) ياقوت : ٧٧/١٨ .

ونقوض لعدة كتب من كتب ابن الراوندي .
وكان في أيام أبي علي الجبائي ، وله معه
مناظرات . واجتمعا بسوق الأهواز (١) .

ويقول النديم نقلا عن كتاب « الباهر »
لجعفر بن حمدان في حديثه عن ابن طيفور :
« كان مؤدب كتاب عامياً ، ثم تخصص وجلس في
سوق الوراقين (٢) » .

أى ان معلمى الكتاتيب كان ينظر اليهم على
أنهم من العوام . ولكن الوراقين كان ينظر اليهم
على أنهم من خاصة الناس ، تماماً كمشاهير
العلماء وأصحاب المراكز المرموقة .

وقد يحدث أحياناً أن ينظر بعض الوزراء
والكبراء الى الوراقين على أنهم من فئة غير عالية ،
ولكن هذا ليس حكماً عاماً ، لأن أولئك المتكبرين
كانوا يجابهون من قبل الوراقين وغيرهم بانتقاد
شديد .

(١) الفهرست : ٢١٨ .

(٢) الفهرست : ١٦٣ .

ومن ذلك أن الصاحب بن عباد كلف
أبا حيان التوحيدي بنسخ أشياء ، فمر الصاحب
يوماً والتوحيدي ينسخ فنهض له قائماً . فقال
الصاحب : « اقم ، فالوراقون أخس من أن
يقوموا لنا » فحز ذلك كثيراً في نفس التوحيدي
بالطبع ، وهمّ بأن يقوم فيرد عليه ، فقال له
الزعفراني الشاعر : « اسكت فالرجل رقيق » .
فاستحال غيظ أبي حيان ضحكاً من تعليق
الزعفراني . وقد ذكر التوحيدي القصة في كتاب
« مثالب الوزيرين » الذي ألفه للنيل من
الصاحب بن عباد وابن العميد ، وعلق عليها
بكلام طويل مُر ينتقد به الصاحب (١) .

ومن ذلك أيضاً أن علان الشعوبي كان له
دكان في سوق الوراقين ينسخ فيه . فأحضر يوماً
إلى دار أحمد بن أبي خالد الأحوال وزير المأمون
لينسخ له بعض الكتب . فأقام علان ينسخ في
دار الوزير . فدخل عليه يوماً وهو ينسخ ، فقام

(١) ياقوت : ٢٦/١٥ .

له جميع من في الحجرة غير علان الذى ظل قاعداً
ينسخ . فقال أحمد : « ما أسوأ أدب هذا
الوراق » فسمعه علان فقال : « كيف أنسب الى
سوء الأدب ومنى تتعلم الآداب وأنا معدنها ...
ثم حلف ايماناً أن لا يكتب بعد ذلك فى منازل
الناس (١) .

٦. الوراقه كعامل مساعد فى الأبحاث العلميه

رأينا فيما سبق كيف أن العلماء كانوا
شديدي الاتصال بزملائهم الوراقين الذين كانوا
هم أيضاً علماء ومثقفين . ولهذا نجد العلماء
من غير الوراقين كانوا يعتمدون على الوراقين
كثيراً كمساعدين فى أبحاثهم . فنجد أن العديد
من هؤلاء العلماء كان لهم وراقون مخصوصون
ينسخون مؤلفاتهم وينشرونها على الغير ،
وينسخون لهم مؤلفات الغير لتضاف الى مكتباتهم .

(١) ياقوت : ١٢/١٩٢ .

فتُحدّثنا الكتب مثلاً أن حنين بن اسحاق
الطبيب المترجم كان له وراق يدعى الأزرق (١)
والمحافظ كان له وراق اسمه عبد الوهاب بن
عيسى ويعرف بابن أبي حبة (٢) . والجهشياري
المؤرخ كان له وراق يدعى أحمد بن أحمد
الشافعي (٣) . وأبو عبيد القاسم بن سلام كان
له وراق يدعى أبا ثابت عبد العزيز (٤) . والمبرد
كان له وراقان أحدهما ابن الزجاجي اسماعيل
ابن أحمد ، والآخر الشاشي ابراهيم بن محمد (٥) .
والفراء كان له وراقان أحدهما سلمة بن عاصم ،
والآخر أبو نصر بن جهم (٦) . والواقدي كان
وراقه محمد بن سعد صاحب « الطبقات
الكبرى » .

-
- (١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ترجمة حنين وكان محمد بن
الحسن بن دينار الأحول يورق له أيضاً كما في « معجم الأدباء » لياقوت .
(٢) الأنساب للسمعاني ، مادة وراق .
(٣) معجم الأدباء ١٣٧/٢ .
(٤) المصدر السابق : ١٤٢/٧ .
(٥) الفهرست : ٦٥ .
(٦) ياقوت : ١٢/٢٠ .

كان هؤلاء الوراقون كما أسلفنا ينسخون الكتب بين يدي أساتذهم العلماء ولكن يبدو لنا كذلك أنهم كانوا يقومون بأكثر من هذا العمل ، فيساعدون الباحث بأعداد المراجع له . فمن ذلك ما روي من أن الطبري المفسر المؤرخ طلب من الحسين بن حبيش الوراق أن يجمع له الكتب التي ألفها الناس في القياس . فجمع له نيفاً وثلاثين كتاباً ، فأقامت عنده مدة بسيطة انقطع بعدها عن التدريس . فرد الكتب المذكورة الى الوراق وفيها علامات قد علم عليها بالخبر الأحمر (١) .

ومن أجل هذا كانت هناك دعوة في عهدنا الحاضر بأن تطلق كلمة « وراق » على لفظة « السكرتير » الأجنبية .

هذا عن مساعدة الوراقين للعلماء من ناحية البحث العلمي . ولكن لم يكن دورهم في هذا المجال ينتهي عند هذا الحد ، بل كانوا يفيدون

(١) ياقوت : ٨١/١٨ .

البحث العلمي في مجال أوسع وأكثر فائدة
فعندما يخرج الكتاب من بين يدي العالم يتلقفه
الوراقون لنشره بين الناس ، وعندها يلقي
العناية الفائقة من ناحية التصحيح والضبط .

قال ابن خلدون في حديثه عن الوراق : « ثم
وقفت عناية أهل العلوم - وهم أهل الدول -
على ضبط الدواوين العلمية ، وتصحيحها
بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها ، لأنه
الشأن الأهم من التصحيح والضبط . فبذلك
تسند الأقوال الى قائلها ، والفتيا الى الحاكم بها
المجتهد في طريق استنباطها . ومالم يكن تصحيح
المتون باسنادها الى مدونها فلا يصح قول لهم
ولا فتيا . وهكذا كان شأن أهل العلم وحملته
في العصور والأجيال والآفاق ... وكانت هذه
الرسوم بالمشرق والأندلس معبدة الطرق واضحة
المسالك . ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك
العهد في أقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام
والصحة . ومنها لهذا العهد بأيدي الناس في

العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الفاية لهم في ذلك . وأهل الآفاق يتناقلونها الى الآن ، ويشدون عليها يد الضمانة (١) » .

فابن خلدون اذن يقرر أن الوراقين لا يكتفون بنسخ الكتاب فقط ، وانما يصححون النقل . ويذكرون ممن نقلوا بسرد اسناد يتصل بمؤلف الكتاب . ويؤيد كلامه هذا ما ذكره القفطي في « انباه الرواة » حيث قال :

« نقلت من خط ياقوت الموصللي الكاتب ما مثاله :

وجدت على ظهر الجزء الأول من كتاب « النبات » لأبى حنيفة الدينوري بخط أبى محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب ما هذه حكايته فنقلته :

وجدت بخط أبى عبد الله الحسين بن محمد ابن جعفر الخالغ الشاعر رحمه الله ما هذه حكايته فنقلته :

(١) المقدمة : ٧٥٧ .

قرأت هذا الكتاب على القاضي أبى سعيد السيرافي ، ورواه لى عن مسبح بن الحسين ابن أخت أبى حنيفة الدينوري . وذكر أنه قرأه على خاله أبى حنيفة ، وقرأ عليه بهذه الرواية كتاب « الأنواء » ، وسمعتة قراءة عليه . وقرأناه على أبى عبد الله الحسين بن هارون القاضي الضبي بهذه الرواية أيضاً ، وبقراءة أبى أحمد عبد السلام بن الحسين البصري ، وسمع أبو الحسين السمسسي ، وسمع الشريف المرتضى أبو القاسم .

نقله أحمد بن أحمد (١) في جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وخمسمائة .

وبخطه أيضاً (القائل لا يزال ياقوت الموصل ، والضمير في خطه يعود الى ابن الخشاب) على ظهر النسخة المذكورة :

(١) ذكر المحقق لكتاب القفطي أن أحمد بن أحمد هذا هو الشافعي الذي وردت ترجمته في معجم الأدباء لياقوت . وهذا خطأ لأن ياقوت ذكره قائلاً بأنه كان وراق الجهشيارى المتوفي سنة ٣٣١هـ . فلا يعقل أن يعاصر الجهشيارى ثم ينسخ كتاباً سنة ٥٢١هـ كما في النص المذكور أعلاه . واعتقد أن الصواب هو : « نقله عبد الله بن أحمد بن أحمد » أي ابن الخشاب المذكور في بداية النص .

قرأ جميع هذه المجلدة ، وعددها سبع عشرة
كراسة على الشيخ يحيى بن الحسن بن أحمد بن
البنّا من أولها الى البلاغ المقابل لنسخة الخالع
بروايته عن أبى القاسم علي بن أحمد السري ،
اجازة عن أبى عبد الله الضبي ، واجازة عن
مسبح بن الحسين ، عن أبى حنيفة - عبد الله بن
أحمد بن أحمد بن الخشاب (١) في مجالس آخرها
يوم الأحد سابع رجب من سنة سبع وعشرين
وخمسمائة . والباقي وجادة (أي درس من كتاب
دون سماع من المدرس) لأنه لم يقابل بالمسموع
من الضبي .

وأثبت بحمد الله نقل المذكور جميعه ياقوت
ابن عبد الله في سابع رجب من سنة ست وستمائة ،
بمدينة الموصل (٢) .

فنرى من هذا النص كيف أن الوراقين في

(١) عبد الله بن الخشاب فاعل للفعل « قرا » ، أي هو الذي قرا
المجلدة على شيوخه المذكورين .
(٢) انباء الرواة ٤٢/١ .

عهد ازدهار الوراقۃ كانوا يدقّون أسانيد
الكتب ويضبطونها .

ومن ناحية أخرى كان هؤلاء الوراقون هم
الذين يصحّحون نسخ القرآن الكريم التي
ينسخونها . روى الزرقاني محدثاً عن يحيى بن
أكثم أن يهودياً دخل على المأمون فجالسه ، فأعجب
المأمون به ، ورغبه في الاسلام فلم يرض . ثم
مرت سنة جاء اليهودي بعدها فأسلم . فتعجب
المأمون من ذلك ، فأخبره اليهودي أنه خرج من
عنده فنسخ نسخة من التوراة حرّف فيها وباعها
فقبلت منه ، ثم نسخ نسخة من الانجيل فباعها
محرفة كذلك فقبلت منه ، ثم حرّف نسخة من
القرآن ، فلما جاء بها الى الوراقين بصفتهم تجار
الكتب راجعوا تلك النسخة وردوها اليه بعد
اكتشاف التحريف (١) .

وبلغ من حرص الوراقين على تصحيح الكتب
أن العالم منهم اذا ألّف كتاباً كان يطلب من

(١) الزرقاني على المواهب/ ج ٥ .

قراءته تصحيح كتابه دون أخذ اذنه . فهذا أمر غريب لا يحدث الا ممن بلغ حداً من النزاهة العلمية ينكر معه ذاته ، ويتواضع تواضع مدققي العلماء .

فمن فعل ذلك محمد بن اسحق النديم الوراق الذي قال في حديثه عن الحسن بن علي الناصر للحق أحد أحفاد علي رضي الله عنه : « هذا ما رأيناه من كتبه . وزعم بعض الزيدية أن له نحواً من مائة كتاب ، ولم نرها . فان رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها الحقها بموضعها ان شاء الله تعالى (١) » .

ومن ذلك قول ياقوت الحموي الوراق ، بعد أن سرد قصة فيها ذكر « علان » في ترجمة علان الشعوبي . فان كان هو فهو المراد ، وان كان غيره فقد مرت بك حكاية ممتعة ، فاله' بها . وان تحقق عندك أنه هو فأصلحه مأجوراً مثاباً « (٢) » .

(١) الفهرست : ٢٤٤ .

(٢) ياقوت : ١٢ / ١٩٣ .

والخطاب في كلام ياقوت موجه الى عموم قراء كتابه القيم .

فعادة كهذه يطلب فيها المؤلف من قراءه اصلاح كتابه لم أجدها عند غير الوراقين سوى في كتاب واحد هو « وفيات الأعيان » لابن خلكان في مقدمة الكتاب .

فما سبق تتضح لنا كيفية عناية الوراقين بالكتب التي ينسخونها . ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن ذلك لم يكن قاعدة عامة في الوراقين جميعهم ، فلكل قاعدة شواذ طبعاً . حيث وجد من بين الوراقين من زيف الكتب بقصد ، ووجد فيهم من كان بسيط التعليم ، ومحدود الثقافة ، فلم يدقق فيما ينسخه .

فمن ذلك ما روي من أن وراقاً يدعى سندی ابن علي - كان وراقاً خصوصياً لاسحاق الموصلي - اتفق وشريك له على وضع كتاب نسباه الى اسحاق لكي يضمننا له الرواج (١) .

(١) ياقوت : ٥٧/٦ .

٧. مهارة الوراقين في إنتاج الكتاب ونشره

نستعرض في هذا الفصل مهارة الوراقين في إنتاج الكتاب ونشره وتسويقه . فكانت صناعتهم هذه تمر في سلسلة من العمليات أهمها:

١ - الحصول على الورق بأرخص الأثمان .

٢ - الاجادة في تزويق الكتاب وزخرفته ليروج .

٣ - اختيار أشهر الكتب في أول صدورها والتحكم في أسعارها .

٤ - تهريب الكتب النادرة من مكان الى آخر بقصد استجلاب المنفعة الزائدة .

فنستعرض اذن هذه العمليات واحدة بعد أخرى .

فقد كان الوراقون يتوخَّون الحصول على الورق بأرخص وسيلة . ومن أهم ما ورد في ذلك

استخدام الورق الزائد عن حاجة الدواوين الحكومية ، وذلك بعد الحصول عليه بأزهد تكلفة .

فمن ذلك أن ابراهيم بن سعيد الحبال المحدث الوراق كان يتاجر في الكتب ، وكان قريب الصلة بالوزير جعفر بن الفضل المعروف بابن خزابة بمصر . وكان الورق الجيد يحمل الى ابن خزابة من سمرقند فيحصل الحبال على شيء منه (١) .

وكان في خزانة كتب ابن خزابة عدة من الوراقين يشترون الورق نسيئة من الوزير . فأراد أحدهم أن يستقيل ، فأمر الوزير بقبول استقالته بعد أن ينظر في حسابه ، فظهر أنه مديون للوزير بمائة دينار ، فتراجع عن الاستقالة (١) .

ومن ذلك أيضاً أن ابن البواب الخطاط الرسام الوراق الفنان كان يعمل في ديوان بهاء

(١) ياقوت : ١٧٦/٦ .

الدولة البويهية ، وكان ذلك الأمير قد وعده
بخلعة ودنانير ، ولكنه ماطله فيها . فلما كان
يوماً قال ابن البواب : « يا مولانا ، في الخزانة
بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح ،
فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة
والدنانير ؟ » قال : مر وخذه . قال ابن البواب :
« فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك
النوع فكتبت فيه سنين » (١) .

وبعد الحصول على الورق بأرخص الأثمان
كانت العملية الثانية أن يجيد الوراق اتقان
الكتاب لكي يضمن له الرواج . وقد مر بنا في
الفصل السابق كيف كان الوراقون يهتمون
بالكتاب من ناحية التصحيح والضبط ، فكانوا
بالإضافة الى ذلك يعتنون باجادة الخط وزخرفة
الكتب ، وأحياناً رسم صور فيها . وأكثر
ما اعتنوا بزخرفة صفحاته هو القرآن الكريم .
فاذا وجد أى منا مخطوطة للمصحف الشريف

(١) ياقوت : ١٢٤/١٥ .

فانه يجد الآيات الكريمة قد خطّت بخط جميل جداً داخل اطار من الزخرفة البهيجة التي تعب فيها الفنان الوراق تعباً يليق بمقام الكتاب الجليل . حيث يرسم كل صفحة على حدة ، فلم يكن في زمانهم طبع ولا تصوير . ومع هذا يجد المرء الابداع الهائل الذى أضرب صفحاً عن تفاصيله هنا . وقد يجد القارئ الذى يحتفظ بأعداد مجلة « الفيصل » فى مكتبته توسعاً فى هذا الموضوع عندما يقرأ التحقيق الصحفى الذى نشر عن مكتبة القرآن الكريم بالمدينة المنورة فى أحد أعداد السنتين الأوليين من المجلة .

وقد أشرنا فى الفصل الأول أن النديم قد ذكر عدداً من الذين كانوا يزخرفون المصاحف ، حيث سرد أسماءهم تحت عنوان « أسماء المذهبيين للمصاحف المذكورين » (أى الذين ينقشون الاطارات فى صفحات المصاحف باللون الذهبى ولهم ذكر وشهرة) . وكان سرده للأسماء سرداً مجرداً دون ذكر شىء من أخبارهم .

وكانت المصاحف التى كتبها فنانون مشهورون
تلقى العناية الفائقة على أعلى المستويات . وكان
الوراقون المتفنون يدركون ذلك ، فيعتنون بهذه
الناحية أشد اعتناء .

فمن ذلك أن ابن البواب السالف ذكره كان
أمين مكتبة الأمير بهاء الدولة ، فوجد فيها مصحفاً
بخط الوراق الفنان (الوزير فيما بعد) ابن مقلة .
الا أنه كان فى تسعة وعشرين جزءاً وفقد منه
جزء . فكلفه الأمير باتمام الجزء الناقص ، فقال
ابن البواب : « السمع والطاعة ، ولكن على
شريطة أنك اذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا
تعرفه أن تعطينى خلعة ومائة دينار » . وقد
وافق الأمير على ذلك ، ولكن ابن البواب لم
يحصل فيما بعد سوى على ورق مقابل الخلعة
والدنانير كما مر بنا سالفاً فى هذا الفصل .

وكانت العناية بزخرفة الكتب (ثم رسم صور
فيها فيما بعد) جزءاً من النهضة الفنية التى
عاشتها أقطار الاسلام . فابن البواب المذكور

كان فى بداىة أمره مزوقاً يصور الدور (أى
يرسم نقوشاً فيها) ، ثم صور الكتب (أى صار
يرسم نقوشاً فيها) (١) .

ويطول بنا الحديث لو دخلنا فى تفاصيل
النقوش والصور التى كانت الكتب تزىن بها ،
والتأثيرات الأجنبية التى دخلت على المسلمين فى
ذلك المجال . وقد اهتم بهذا الموضوع أكثر من
باحث ، كان أكثرهم من المستشرقين . وبين
يديّ الآن بحثان يتعرضان له ، وهما :

١ - كتاب « الفن الاسلامى » تأليف أرنست
كونل وترجمة أحمد موسى ونشر دار صادر
ببيروت سنة ١٩٦٦م . الصفحات ٧٨ ، ٩٦ ،
١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٧٣ .

٢ - مقالة « الفنون الاسلامية وتأثيرها على
الفنون الأوروبية » تأليف كريستى ، ونشرت
بكتاب « تراث الاسلام » الذى ترجمه جرجيس

(١) ياقوت : ١٢١/١٢ .

فتح الله وطبع بدار الطليعة ببيروت سنة
١٩٧٢م . الصفحات ١٧١ ، ٢١٤ - ٢١٨ .

نأتى الآن الى العملية الثالثة من سلسلة
العمليات المتعلقة بمهنة الوراق المذكورة في
بداية الفصل . فقد كان الوراقون يعرفون رواج
كتاب معين بعدة أدلة ، منها شهرة المؤلف ،
والاتجاه العام في ميول القراء ، وغير ذلك .
فلهذا تجدهم يحرصون على ذلك الكتاب لكي
يجنوا منه أفضل المكاسب .

وقد مر بنا في الفصل الخامس كيف أن أحد
الوراقين استطاع الحصول على شيء من مؤلفات
الطبري لم يحصل عليه تلاميذه . كما مر بنا في
آخر الفصل السادس كيف أن بعض الوراقين كان
يقوم بتأليف كتب ، وينسبها الى المشاهير لكي
يضمن رواجها .

وكان الكتاب الجيد ينادى عليه في مزاد علني
كما تباع التحف والمخطوطات النادرة واللوحات

القيمة اليوم . فيحرص مشتريه على الاحتفاظ
به وعدم التفريط فيه .

قال محمد بن يحيى بن شيرزاد : « اتصل بى
أن مسودة كتاب الأغاني — وهى أصل أبى الفرج —
أخرجت الى سوق الوراقين لتبتاع . فأنفذت الى
ابن قرابة ، وسألته انفاذ صاحبها لأبتاعها منه
لى . فجاءنى وعرفنى أنها بيعت فى النداء بأربعة
آلاف درهم . وأن أكثرها فى طروس (١) ، وبخط
التعليق (٢) . وأنها اشتريت لأبى أحمد بن محمد
ابن حفص . فراسلت أبا أحمد ، فأنكر أنه يعرف
شيئاً من هذا . فبحثت كل البحث ، فما قدرت
عليها » (٣) .

(١) أى مسودات . يقال طرس الخط اذا مسعت الكتابة ثم كتبت
كتابة أخرى .

(٢) مر بنا فى الفصل الاول انه ابتكر لكل حالة من حالات الكتابة
خطاً . والتعليق فى ذلك الزمان هو ما نسميه اليوم « الشرح على
المعاملة » . فنستنتج من هذا أن خط التعليق كان خطأ غير معتنى به ،
حيث انه يكتب به فى الأمور المستعجلة .

(٣) ياقوت : ١٢٦/١٣ .

فكان الوراقون بعد الحصول على الكتب الجيدة يتصرفون في ثمنها ويحددونه في السوق . فعندما توفي ثعلب اللغوي الأديب المشهور خَلَفَ كُتُباً جليلة ، اشتراها الوزير القاسم بن عبيد الله ، حيث أحضر وراقاً يدعى خيران قومَ ثمنها ، فقوّمَ ما كان يساوى عشرة دنانير ثلاثة ، فاشتراها القاسم بسعر زهيد (١) .

وكما سَمَّرَ خيران الوراق كُتُبَ ثعلب بغير سعرها ، كانت عملية التسعير هذه متروكة على هوى الوراقين فيما يبدو . فجميع كتب الحسبة (أى الكتب التى تبحث مهام المحتسبين فى مراقبة كل حرفة وصناعة) التى بين أيدينا خالية من الإشارة الى مهنة الوراقين . رغم أن الحسبة شملت مراقبة الأطباء والجراحين والمدرسين والمؤذنين والوعاظ والمنجمين وكُتِّبَ الرسائل ، وكل هؤلاء من الطبقة المتعلمة كما هو واضح .

(١) ياقوت : ١٢٧/٥ .

فنستنتج من ذلك أن تسعير الكتاب لم يخضع
للمراقبة

ويؤيد هذه الفكرة ما روي من أن الفراء عالم
اللغة والنحو أملى كتاب « المعانى » على الوراقين ،
فاحتكره الوراقون ، وطلبوا سعراً كل خمسة
أوراق ينسخونها بدرهم . فشكا الناس ذلك الى
الفراء ، فحاول أن يرد الوراقين عن جورهم
فأبوا ، فشرع يملأ على الناس كتاباً أوسع وأشمل
في المعانى بقصد الغاء الأول . فعند ذلك جاء
الوراقون اليه ، ورجوه أن يكف عن فعله ذلك ،
وبدأوا ينسخون للناس من الكتاب الأول كل
عشرة أوراق بدرهم (١) .

نأتى الآن الى العملية الأخيرة من العمليات التى
اتبعها الوراقون لنيل المكاسب من مهنتهم . وهى
تهريب الكتاب من مكان لآخر بقصد ترويجه .
فقد مر بنا فى الفصل الخامس كيف أن بعض
الوراقين حاول تهريب كتاب نادر للطبري من

(١) ياقوت : ١٢/٢٠ .

بغداد الى الشام ، ولكن لسوء حظه تعرض له
قطاع الطرق فطاع منه نصف الكتاب .

وهناك قصة أخرى في هذا المجال ، حيث كان
أبو عبيدة معمر بن المثنى الأديب المشهور ضنيناً
بكتبه على الناس . فالظاهر أنه كان يفضل أن
يهدىها الى أهل الجاه كي يربح جوائزهم . فحصل
مرة أن استقدمه الكاتب اسماعيل بن صبيح من
البصرة الى بغداد في أيام الرشيد . وأحضر
الأثرم الذى كان وراقاً في تلك الأيام (١) ، وجعله
في غرفة مغلقة ، وأعطاه كتب أبى عبيدة طالباً
منه نسخها . فاتفق الأثرم مع مجموعة من
الوراقين - منهم وراق يدعى أبا مسحل
عبد الوهاب - على تهريب نسخ من تلك الكتب .
قال أبو مسحل : «فكنت أنا وجماعة من أصحابنا
نصير الى الأثرم . فيدفع إلينا الكتاب والورق
الأبيض من عنده ، ويسألنا نسخه وتعجيله ،

(١) ثم صار من علماء اللغة والحديث .

ويوافقنا على الوقت الذى نرده اليه . فكنا نفعل ذلك « (١) .

٨. أصناف الوراقين

رأينا فى نشأة الوراقة (٢) نوعين من الوراقين : نوع ينسخ بالأجرة لمن يدفع له حسب كمية المنسوخ ، كمالك بن دينار . وصنف يعمل عند الأغنياء والمحكام لكي ينسخ لهم مقابل أجر شهري أو سنوي ، كخالد بن أبى الهياج ، أو أنه يكون عبداً مملوكاً لا يحصل على مقابل لشغله .

ثم رأينا كيف أن الوراقين افتتحوا حوانيت لهم لما كثر الورق ففشا الكتاب ، وشاعت المعرفة بين الشعب .

على أن كل الأصناف الثلاثة ظل يمارس عمله جنباً الى جنب طوال عهد الحضارة الاسلامية . فهذا ما توضحه لنا الروايات المختلفة . فمن

(١) ياقوت : ٧٧/١٥ .

(٢) أى الفصل الثانى من كتابنا هذا .

قصص الصنف الأول - وهو الذى ينسخ بالمقاولة
حسب كمية المنسوخ - ما ورد فى كتاب « عيون
الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة .
حيث يعكس المؤلف عن صاحب أمين الدولة
وزير الأيوبيين (توفى ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م) :
« ... وكان أبى صديقه ، وكان بينهما مودة .
فقال له يوماً : سديد الدين ! (اسم والد
المؤلف) بلغنى أن ابنك قد صنف كتاباً فى
طبقات الأطباء ما سبق اليه . وجماعة الأطباء
الذين يأتون اليّ شاكرين منه . وهذا الكتاب
جليل القدر ، وقد اجتمع عندي أكثر من عشرين
ألف مجلد ما فيها شيء من هذا الفن ، وأشتهى
منك أن تبعث اليه يكتب لى نسخة من هذا
الكتاب ... ولما وصلنى كتاب أبى أتيت الى
دمشق ، واستصحبت معى مسودات الكتاب ،
واستدعيت الشريف الناسخ ، وهو شمس الدين
الحسيني . وكان كثيراً ينسخ لنا ، وخطه منسوب
فى نهاية الجودة . وهو فاضل فى العربية ، فأخليت

له موضعاً عندنا . وكتب الكتاب في مدة يسيرة
في تقطيع ربع البغدادى أربعة أجزاء « (١) .

وقطع البغدادى ذراع في ذراع ونصف .
ومن قصص النوع الذى ينسخ للأغنياء
ما رواه ابن أبى أصيبعة أيضاً عن الطبيب
اليهودى افرائيم بن الزفان : « وكانت له همة
عالية في تحصيل الكتب وفي استنساخها ، حتى
كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب الطبية
وغيرها . وكان أبداً عنده النساخ يكتبون ،
ولهم ما يقوم بكفائتهم منه . ومن جملتهم محمد
ابن سعيد بن هشام الحجري ، وهو المعروف
بابن ملساقة . ووجدت بخط هذا عدة كتب قد
كتبها لافرائيم ، وعليها خط افرائيم » (٢) .

فهؤلاء كانوا ناسخي المكتبات الخاصة . أما
المكتبات العامة فقد أوقف لها الأغنياء الأموال
التي تدفع للناسخين . فرووا أنه كان بمكتبة

(١) ٧٢٥ .

(٢) ص ٥٦٧ .

بنى عمار بطرابلس الشام مائة وثمانون ناسخاً،
وكان هؤلاء النُسخاء يتبادلون العمل ليلاً ونهاراً
بحيث لا ينقطع النسخ ، ولا يقل الذين يؤدون
عملهم فعلاً عن ثلاثين ناسخاً في أية ساعة من
ساعات الليل والنهار (١) .

ولمزيد من الأمثلة على الناسخين الخصوصيين
يمكن مراجعة كتاب « تاريخ التربية الإسلامية »
لأحمد شلبي ص ١٦٤ وما بعدها .

ويلاحظ أن هؤلاء النساخ الخصوصيون كانوا
ينسخون الكتاب فلا يجلدونه على ما يبدو ، كما
كان أصحاب الحوانيت يفعلون . فقد اقترح
الوزير الصولي على الخليفة العباسي الراضي أن
يسمى الى اقتناء النادر من الكتب للخزانة
الملكية ، فينسخه الناسخون الذين تجرى عليهم
الأرزاق ، ويجلده مجلدو الخزانة (٢) .

(١) تاريخ ابن الفرات .

(٢) أخبار الراضي والمتقي ، قطعة من « الأوراق » للصولي .

بعد عصر الوراقة الذهبي في عهد الحضارة الإسلامية الزاهر بدأت هذه المهنة تتأخر بتأخر تلك الحضارة . وأول إشارة الى تدهور الوراقة نجدها في مقدمة ابن خلدون الذي عاش في الفترة من ٧٣٢ الى ٨٠٨ هـ الموافق ١٣٣٢-١٤٠٦ م ، وذلك حين قال : « ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهله ، لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداءة أهله . وصارت الأمهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية ، ينسخها طلبة البربر صحائف مستعجمة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصحيف . فتستفلق على متصحفها (أى تبدو مبهمة لمن يتصفحها) ، ولا يحصل منها فائدة الا في الأقل النادر » (١) .

فاذا كانت الوراقة كما تحدث ابن خلدون في بلاد المغرب فانها كانت لا تزال مزدهرة في أقطار

أخرى . فالقاهرة نشأت فيها سوق للوراقين سنة ٧٠٠هـ - ١٣٠٠م أو بعدها . وكانت في أيام المقرئى مجمعاً لأهل العلم يترددون عليه (١) . وكذلك الحال في الشام كما يلاحظ القارئ في الفصل السابق .

ثم ما لبث الركود الثقافى أن خيم على كثير من بلاد الاسلام فيما بعد . ولكن لا نستطيع أن نقول أن الثقافة والعلم انقطعا ، ولا الوراقة أيضاً توقفت . فالمشتغلون بالمخطوطات يعرفون أن القسطنطينية مثلاً ظلت طوال العهد العثمانى مركزاً للثقافة . وهناك الكثير الكثير من المخطوطات التى خطت في ذلك العهد بالقسطنطينية وغيرها .

ثم دخلت الطباعة الى العالم الاسلامى سنة ١١٢٩هـ - ١٧١٦م (٢) عندما أفتى شيخ الاسلام

(١) خطط المقرئى ١٠٢/٢ ونقرأ في « ربحانة الألباء » للغفاجى عن عبد الرحمن بن محمد الحميدى الذى توفى سنة ١٠٧٠هـ ، وكان شيخاً للوراقين في عصره وطبيباً وشاعراً .

(٢) وقبلها كانت مطابع خاصة صغيرة قد وجدت في بعض الأديرة بالشام منذ حوالى ١١١٢هـ - ١٧٠٠م ، حيث كانت تطبع كتباً وادعية ومواعظ دينية مسيحية .

عبد الله أفندی بجواز الطباعة فى خطاب له موجه الى سعيد محمد جلبى وابراهيم أغا المجرى اللذين أنشأ مطبعة فى القسطنطينية بدأت تعمل سنة ١١٤١هـ ١٧٢٨م (١) .

ولكن الوراقه لم تنقطع بدخول الطباعة ، لأن الطباعة ظلت الى عهد قريب غير متوفرة بشكل كاف لسد الحاجات . فكان طالبو العلم ينسخون الكتب لأنفسهم .

قال فيليب دى طرازى فى حديثه عن ناصيف اليازجى : «لما لم تكن الكتب لذلك العهد ميسورة (يقصد سنة ١٨١٠م) لقله المطبوع منها ... كان جل معتمده على كتب يستعيرها من بعض الأديار والمكاتب القديمة ... ومنها ما ينسخها بخطه » (٢) .

وكان النسخ التصويرى أيضاً غير متوفر فى ذلك الزمان ، وانما كانوا يصورون بالأفلام

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، لجرى زيدان : ٤٤/٤ .
(٢) تاريخ الصحافة العربية والمغرب ، فيليب دى طرازى : ٨٢/١ .

وباستعمال كاميرات غالية الثمن لا تتوفر عند
الشخص العادي الدخل .

فلذلك ظلت الوراقة غير منقطعة بعد انشاء
المطابع ، فشيخ الطريقة النقشبندية الصوفية
كان له وراق خصوصي يدعى اسماعيل البرزنجي
الذي توفي سنة ١٢٤٢هـ (١) . وكان اسماعيل
الطهوري المتوفي سنة ١٢١١هـ وراقاً عمومياً
يورق لعموم الناس (٢) . بل ان هناك مخطوطات
يرجع تاريخها الى عهد قريب جداً . فكتاب
« تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين
من أنساب » لعبد الرحمن الأنصاري اعتمد
محققه في طبعه على نسختين كتبت احدهما سنة
١٣١٧هـ والأخرى سنة ١٣٥٦هـ .

وكتاب « العز والصولة في معالم نظم الدولة »
لعبد الرحمن بن زيدان المكناسي توفي مؤلفه
سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م ، ومع ذلك طبع الكتاب

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، عبد الرزاق البيطار :
٣٢٦/١ .
(٢) المصدر السابق : ٣١٢/١ .

سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م اعتماداً على نسختين
خطيتين كتبنا بعد المؤلف .

ولهذا فاننا نتساءل : هل انتهت الوراقة ؟

طبعاً هي كحرفة عامة انتهت منذ فترة ،
ولكننا لا نستبعد وجود أماكن لا تتوفر فيها
المطابع وآلات النسخ التصويري الفوري ، فيعمد
أهلها الى النسخ باليد .

٢٠. مشاهير الوراقين

عند محاولتي الأولى لكتابة هذا البحث أردت
أن أجمع فيه سجلاً بأسماء جميع الوراقين الذين
وردت أسماءهم في المصادر والمراجع مع الإشارة
الى تلك المراجع . وذلك لسببين : الأول هو
انصاف هؤلاء الذين ظلمهم التاريخ المحابي
لذوى الجاه والسلطان ، ومنحهم التقدير الذى
يستحقونه كبناء لصرح من أعظم صروح
حضارتنا . والثانى هو اظهار مدى الثقافة
العميقة التى كانت لدى هؤلاء الوراقين ، حيث

نرى أن كثيراً منهم برع في لون أو أكثر من ألوان العلم والأدب .

ثم اتضح لي أن كل كتاب للتراجم يحتوى على أسماء جملة من أولئك الوراقين الذين فرضوا أنفسهم على دنيا الثقافة والعلوم . فلو تحررنا جميع المصادر المطبوعة من كتب التراجم فسنخرج بأسماء المئات من المترجم لهم . ولو قرأنا جميع كتب التراث الاسلامي فسنخرج بمئات أخرى من الوراقين الذين ذكروا عرضاً في سياق الأخبار والأحاديث .

ثم لا ننسى أن كل مخطوطة عربية في مكتبات العالم يذكر ناسخها اسمه في النهاية ، مع تاريخ نسخة لتلك المخطوطة (١) . فإذا أردنا تكوين سجل لأسماء جميع الوراقين فعلينا أن نراجع كل مخطوطة عربية في مكتبات العالم العامة والخاصة . بالاضافة الى قراءة جميع كتب التراث الاسلامي كما سبق .

(١) الا اذا كانت المخطوطة ناقصة بحيث سقطت الصفحات الاخيرة منها.

فلهذا عدلت عن محاولتي تلك ، ورأيت أن أقصر حديثي على المشاهير من النوابغ في تاريخ الحضارة الاسلامية الذين كانوا في بداية حياتهم وراقين ، أو إمتهنوا الوراقه في فترة ما من حياتهم ، أو كانت الوراقه مهنة ملازمة لهم طيلة حياتهم

١ - فمن هؤلاء الامام الجليل أحمد بن حنبل الذى كان - كما أسلفنا - يشتغل بالأعمال التى يتأكد من حلّها حسب اجتهاده المعروف عنه . ومن تلك الأعمال كانت الوراقه التى لم يحترفها تماماً ، وانما كان ينسخ الكتب للموسرين بأجرة

٢ - ومن هؤلاء : القاضى أبو سعيد السيرافى (توفي ٣٦٨ هـ) امام أهل النحو فى عصره ، كان يعمل بالوراقه فى حدائته ، وترجمته فى «الأعلام» للزركلى ، مع مراجع هناك أضيف اليها « معجم الأدباء » لياقوت و « بغية الوعاة » للسيوطي .

٣ - ومزهؤلاء : محمد بن اسحق النديم (ت ٣٨٥هـ) مؤلف « الفهرست » الذى يعتبر من أهم الكتب التى اعتمد عليها فى جميع العصور (ولا يزال يعتمد عليه) للكتابة فى تاريخ الحضارة والعلوم الاسلامية وما يتصل بذلك من مواضيع . ترجمته فى « الأعلام » وفى مقالة لكاتب السطور فى « الهلال » المصرية عدد نوفمبر ١٩٧٣ م .

٤ - ومنهم : يحيى بن عديّ (ت ٣٦٤هـ) رئيس علم المنطق فى عصره . كان يعمل فى الوراقة بنشاط بالغ لقلّة ذات يده ، وقد تحدث عن ذلك صديقه النديم فى « الفهرست » . وترجمته فى « الأعلام »

٥ - ومن هؤلاء كان أبو حيان التوحيدى (ت ٤٠٠هـ) الأديب الفيلسوف ، وقد عمل بهذه المهنة على مضض لأنه كان يطمع طول حياته بالجاه . ولأنه قضى عمره بائساً بسبب أطماعه

هذه . وترجمته في « الأعلام » ، وقد ألف عنه أكثر من كتاب .

٦ - ومن هؤلاء : السريّ الرفاء الشاعر (ت ٣٦٠ هـ) . كان يعمل بالوراقة كلما انقطعت عنه الصلات واحتاج الى المال . وأخباره في الوراقة تجدها في « معجم الأدباء » لياقوت ، وترجمته في « الأعلام » .

٧ - ومن هؤلاء أحمد بن عبد الدائم المقدسي (ت ٦٦٨ هـ) أحد المحدثين الفقهاء الحنبلين . وكان من المكثرين للنسخ حيث كان ينسخ بسرعة هائلة ، فأنّج من ذلك الشيء الكثير خلال خمسين عاماً قضاها في النسخ ، وفقد بصره في نهاية حياته . ترجمته في « الوافي بالوفيات » للصفدي وفي « نكت الهميان في أخبار العميان » .

٨ - ومن هؤلاء ابن القوطية العالم اللغوي المؤرخ الفيلسوف المحدث . وتجد ترجمته في « الأعلام » .

٩ - ومن هؤلاء : الخطاط ابن مقلة
(ت ٣٢٨ هـ) الذى ظلت المخطوطات التى خطها
بقلمه تعتبر ثروة ثمينة طوال عصور الحضارة
الاسلامية . وقد ترقى فى المناصب الى أن أصبح
وزيراً للخليفة . وكان فى بداية حياته يعمل
بالوراقة كما فى « معجم الأدباء » . وتجد ترجمته
فى « الأعلام » .

١٠ - ومنهم دلال الكتب سعد بن علي
(ت ٥٦٨ هـ) الأديب الشاعر ، ترجمته فى
« الأعلام » وفى « تاريخ آداب اللغة العربية »
لزيدان .

١١ - ومنهم الحجاج بن مطر الفيلسوف الذى
كان يترجم كتب اليونان فى عهد المأمون . ترجمته
فى « تاريخ الأدب العربى » لبروكلمن وفى
« الفهرست » .

١٢ - ومنهم مؤرخ أندلسى يدعى أبا مروان
الوراق لم أعثر له على ترجمة ، ولكن كلا من

ابن عذارى فى كتابه « البيان المغرب فى أخبار
المغرب » وابن الخطيب فى « الاحاطة بأخبار
غرناطة » يقتبسان من كلامه نقلا عن كتب له
أحدها كتاب « المقياس » .

١٣ - ومنهم أحمد بن طيفور (ت ٢٨٠هـ)
الأديب المؤرخ . ترجمته فى « الأعلام » .

١٤ - ومنهم مالك بن دينار (ت ١٣١هـ)
المحدث الزاهد . ترجمته فى « الأعلام » وفى
« تاريخ التراث العربى » لسزكين وفى « الفهرست » .

١٥ - ومنهم علان الشعبى (ت ٢٣٠هـ)
المؤرخ الأديب ، كان يعمل فى بيت الحكمة للرشيد
المأمون . وترجمته فى « معجم الأدباء » وفى
« تاريخ الأدب العربى » لبروكلمن .

١٦ - ومنهم أبو عيسى الوراق (ت ٢٤٧هـ)
الباحث المعتزلى ، ترجمته فى « الأعلام » وفى
« تاريخ الأدب العربى » لبروكلمن وفى « تاريخ
التراث العربى » لسزكين .

١٧ - ومنهم الكرمانى محمد بن عبد الله
(ت ٣٢٩ هـ) العالم اللغوى النحوى . ترجمته
فى « الاعلام » للزركلى و « الفهرست » .

١٨ - ومنهم محمد بن يوسف الوراق
(ت ٣٦٢ هـ) المؤرخ الأندلسى ، ترجمته فى
« الأعلام » .

١٩ - ومنهم ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ)
المؤرخ الأديب الجغرافى صاحب « معجم الأدباء »
و « معجم البلدان » . و ترجمته فى « الأعلام » .

٢٠ - ومنهم السراج الوراق (ت ٦٩٥ هـ)
الشاعر الكبير . ترجمته فى « الأعلام » وفى
« تاريخ الأدب العربى » لبروكلمن .



الفهرست

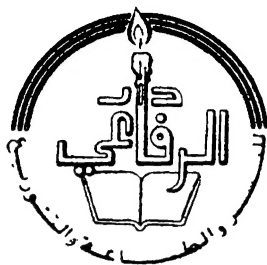
الموضوع	رقم الصفحة
١ - تمهيد	٥
٢ - نشأة الوراقة	١٢
٣ - سوق الوراقين	٢١
٤ - طبيعة مهنة الوراقة	٣٣
٥ - مكانة الوراقة في المجتمع	٣٧
٦ - الوراقة كعامل مساعد في الأبحاث العلمية	٤١
٧ - مهارة الوراقين في انتاج الكتاب ونشره	٥١
٨ - أصناف الوراقين	٦٢
٩ - تدهور الوراقة وانقطاعها	٦٦
١٠ - مشاهير الوراقين	٧٠

المجموعة الرابعة من سلسلة

المكتبة الصغيرة

٣١	الشباب دراسات ولقاءات	بقلم: احمد محمد جمال
٣٢	فيلسوف	، محمد حسن فقي
٣٣	امام الصابرين	، عبد العزيز المسند
٣٤	المتنبي والقرامطة	، د. محمد محمد حسين
٣٥	الأعمش الظريف	، د. أحمد الضيب
٣٦	الأمير الشاعر	، محمد عبد الغني حسن
٣٧	الوراقة والوراقون	، نطف الله قاري
٣٨	أبو العلاء اللاهوري	، د. ظهور أحمد أظهر
٣٩	وقفات مهمة في التاريخ الأفريقي	، عبد الله حسن
٤٠	نجوم في آفاق العربية	، د. عبده بدوي





المقر الرياض - الملز - تفرع شارع جرير ص.ب (١٥٩٠)

تلفون ٤٧٧٧٢٦٩ - برقية : دار الرفاعي

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب بقلمه ..



* ولدت بمكة المكرمة سنة ١٣٧٢هـ

١٩٥٣ م. ودرست بمدرسة الفلاح

بمكة المكرمة وحيدة ، وحصلت

على شهادة التوجيهية من ثانوية

الشاطبي بحدة سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ م.

* حصلت على البكالوريوس في

الفيزياء من جامعة البترول والمعادن بالظهران

سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م.

* حصلت على الدبلوم العالي في الأبحاث الجوية من

جامعة الملك عبد العزيز بحدة سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ م.

* وأنا الآن مبعثة بأمر من الحكومة لتتخذ أبحاث

في عالم البيئة من قبل الإدارة العامة للأبحاث

وحماية البيئة التي أُنشئت لدراسة وتقييم

* وأكتب أحياناً بعض المقالات عن تاريخ الحضارة

الاسلامية ، وذلك منذ سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩ م

حين ظهرت أولى مقالاتي على صفحات مجلة "النخل"

بتشجيع من صاحب المجلة الشيخ عبد القدوس

الأنصاري أ طاب الله عمره .

عبد الله
الأنصاري